

الفصل الرابع

المراهقة الانسحابية المنطوية

(الشكل الثاني)

السمات العامة للمراهقة :

- المراهقة في هذا الشكل أسيفة مكتئبة تتسم بالانطواء ، والعزلة الشديدة ، والسلبية ، والتردد ، والحجل ، وكذلك بشهور المراهق الحاد بالنقص وعدم الملاءمة .
- ليس للمراهق مخارج ومجالات خارج نفسه ، عدا أنواع النشاط الانطوائى مثل قراءة الكتب الدينية وغيرها ، وكتابة المذكرات التي يدور أغلبها حول انفعالاته ونقده للصور التي تحيط به ، وبعض المراهقين كان له نشاط ديني كالوعظ .
- ينصرف القسط الأكبر من تفكير المراهق إلى نفسه ومشكلات حياته ، أو إلى التفكير الديني والتأمل في القيم الروحية والأخلاقية أو إلى نقد النظم الاجتماعية الوضعية ، والثورة على تربية الأبوين .
- ويتجه جانب هام من نشاط المراهق إلى محاولة النجاح الدراسي وإلى الاهتمامات الجديدة .

• وتنتابه الهواجس الكثيرة وأحلام اليقظة التي تدور حول موضوعات حرمانه وحاجاته غير المشبعة ، من اللبس والمأكل إلى الجنس والمركز المرموق . . وتصل أحلام اليقظة في بعض الحالات حد الأوهام والخيالات المرضية وإلى مطابقة المراهق بين نفسه وبين أشخاص الروايات التي يقرأها سيما المعذبين منهم .

• ويسرف المراهق كذلك في الاستمنااء تخلصاً عما يشعر به من ضيق وكبت ، ونتيجة لعدم توجيه طاقته إلى مجالات عملية خارج نفسه كالرياضة أو النشاط الاجتماعي .

• ويتجه أيضاً إلى النزعة الدينية السرفة والمثالية التي تقرب من التصوف ، بحثاً عن الراحة النفسية والخلاص من مشاعر الذنب . . ولكنه يعاني نتيجة هذا الاتجاه مزيداً من القلق والصراع وتضخياً للإحساس بالإثم نحو بعض الأخطاء التي يربأ بنفسه أن يشارك الآخرين فيها ، وبخاصة الاستمنااء والتفكير الجنسي .

العوامل المؤثرة في المراهقة :

١ - تشارك هذه الحالات جميعاً في عدم مناسبة الجو النفسي للمنزل

وفي ضغط شخصية المراهق ضغطاً عنيفاً وإنكار المشرفين على تربيته لحاجاته ورغائبه المتطورة .

وقد كان هناك نموذجان سائدان لتربية الأسرة في حالات هذا الشكل : — فأما النموذج الأول فهو النموذج الأوتوقراطي الذي يفرض سيطرة الأبوين وإرادتهما وقيمهما في الحياة على المراهق . وقد استخدمت بعض الأسر العقاب البدني والحرمات من المصروف والتشهير بالمراهق وتوبيخه كوسائل لقمعه وحمله على الانضمام مع قيم الوالدين وأهدافهما . وبعضها الآخر لم ينجأ إلى مثل هذه الوسائل ولكنه استمر في معاملة المراهق على أنه طفل وأنكر عليه استقلال تصرفه ورفض كذلك الاعتراف بأصدقائه أو أساء استقبال هؤلاء الأصدقاء . . . وقد تسببت هذه المعاملة في تمرد المراهقين وثورتهم — الصريحة أو الضمنية — على الوالدين (أو من يحل محلهم في إدارة الأسرة مثل الأخ الأكبر) وكان من وسائل الاحتجاج الضمني الكذب والكتمان والاحتيال على تنفيذ الرغبات التي لا توافق عليها الأسرة . وغنى عن البيان أن ثقة المراهقين بالمهيمنين على تربيتهم في هذه الأسر كانت ثقة ضعيفة ، متأثرة في ذلك بسلسلة الخبرات الطويلة للمراهقين التي تمتد جذورها إلى طفولتهم المبكرة .

وأما في النموذج الثاني فقد أغدق الوالدان العطف على المراهق في طفولته وأسرفا في إجابة طلباته حتى اعتمد عليهما اعتماداً مطلقاً والتصق بهما التصاقاً شديداً . . . وكانت نتيجة هذه المعاملة لا تختلف عن نتيجة القسوة في النموذج السابق ، فقد شمر المراهقون أيضاً بانكار والديهم لشخصيتهم المستقلة ، مجاهدوا مع العناية الشديد في التخلص من العلاقة

الطفالية التي تربطهم بالوالدين ، وانتهى الأمر ببعضهم إلى الثورة العارمة على والديهم والسخط على أنفسهم .

٢ - وكان لنوع ثقافة الأسرة الأثر الكبير في الاتجاهات التي حاولت

قرضها على المراهق . فقد كانت إحدى القيم الكبرى في هذه الأسر النجاح الدراسي الذي دار حوله كثير من قلق الأسرة واهتمامها ، وبالتالي قلق المراهق أيضا . كما كانت نظرة الأسر إلى النواحي الرياضية نظرة التشكك والارتياب في قيمتها ، والظن بأنها تخلق من المراهق شخصا مشاكسا ، وعلى الأقل تهوِّقه عن التركيز على الدراسة . لذلك كان بعض هذه الأسر يماقِب المراهق على اتجاهه إلى الرياضة ويضع المواعظ في سبيل ذلك .

كذلك كانت غالبية هذه الأسر تغالى في الاتجاهات المحافظة لدرجة التزمّت والرجعية . فكان بعضها يحول بين المراهق - بمجرد بلوغه - وبين مخالطة السيدات والفتيات من أقارب الأسرة ، وكانت الأسرة تحاسب المراهق حساباً عسيراً على أدنى تهاون في تأدية الطقوس والفرائض الدينية والمحافظة على قواعد السلوك الشكلى . وأدى ذلك إلى شدة حساسية المراهق وقسوة ضميره وتزمّته في حسابه لنفسه ، مما جعله يمانى الصراع الدائم والتوتر النفسى الحاد .

٣ - وبالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت هناك مشكلات تتعلق بالوضع

الخاص لبعض المراهقين وبترتيبهم بين الإخوة . وجدير بالإشارة أن هذا

(م ٣ - المراهق المصرى)

الترتيب — أيا كان — لا يكون له نفس الوزن في تأثيره على المراهق إذا وجدت المعاملة الحكيمة من جانب الوالدين والثقافة المناسبة للأسرة ، ولكنه في حالات « الشكل الثاني » اقترن بجهل الوالدين وتوجيهها السيء ، مما ساعد على إبراز صعوبات الوضع الخاص للمراهق .

فهناك مثلاً أصغر الإخوة الذي كان يقابل بضغط شخصيته ضغطاً فوق العادة من جانب الوالدين والإخوة ، بمعنى أنهم كانوا لا يمتدحون بتطوره نحو الرجولة ويماملونه معاملة لا تليق إلا بالطفل . وهناك أكبر الإخوة أيضاً ، وهذا كان يواجه صعوبة أنه أول المراهقين في الأسرة فلا يجد من يحدو حذوه في مقابلة صعوبات المراهقة والتغيرات المفاجئة التي تصيب البلوغ ، كما أنه يمثل التجربة الأولى للوالدين في التعامل مع المراهقة . وإلى جانب هذا فإن الوالدين يفتقران الشيء الكثير من إيمانهم بالبر والسيادة عليه أما في النجاح المدرسي وما شابه فيدفعانه إلى ذلك دفعاً ، وقد يقسوان عليه قسوة شديدة بمد تدليل وتعلق به في الطفولة . وقد كان الوضع الخاص لواحد من المراهقين باعتباراه الابن الأوحيد بمد أربعة أبناء توفوا جميعاً من عوامل التوتر الشديد في مراهقته ، فقد دله أبواه تدليلاً كبيراً وأبدياً كثيراً من الجزع والقلق لجميع أحواله وخاصة أنه كان ضعيف البنية كثير الإصاية بالأمراض في طفولته ، وترتب على هذا ارتباط المراهق بأبويه ارتباطاً طفلياً جملاً يشور على أبويه وعلى نفسه عند إدراكه للآثار السيئة لهذا الارتباط . ومثل ذلك حدث أيضاً مع مراهق

كان الذكر الوحيد بين أربع أخوات . كذلك كان الوضع الأسرى النخاض المراهق آخر كانت تسبقه أختان تكبرانه كثيراً في العمر ويملكه أخوان يصغرانه كثيراً أيضاً - كان وضعه هذا من العوامل الأساسية في عزائه وميله للوحدة ، حيث لم يستطع مصادقة أحد من إخوته وأخواته ، وزاد الطين بلة أنه باعتباره أكبر الذكور في أسرة فقيرة توفي عائلها ، كان يشعر بثقل مسؤولية الأسرة وبأنه « كبش الفداء » لأسرته ، مما أورهه الهم والقلق واليأس والإغراق في السلبية . وكان لترتيب أحد المراهقين باعتباره ثامن الأبناء في أسرة كبيرة الحجم أثره في افتقاده الشعور بالأهمية والأمن والمطف الكافي .

٤ - وقد كان ضعف المستوى الاقتصادي والعوز المادي من العوامل الأ كيدة التي تسببت في صعوبة التكيف لعدد من الحالات ، حيث أدى الفقر إلى اعتزال المراهق الناس والأقران خشية أن يعرفوا عنه عوزه ، ولعدم استطاعته الظهور بالمظهر اللائق بينهم ومجاراتهم في مصروفهم . كما كان المراهقون في هذه الحالات شديدي الحساسية لمخالف المستوى الاقتصادي الاجتماعي لأسرهم ، مما أدى إلى إحساسات النقص الحادة وصعوبات التكيف . وبسبب العوز المادي وثقل الأعباء الأسرية تحول أحد المراهقين كما تقدم - إلى شخص منقبض ، يشعر بالاضطهاد ويستعذب الألم ويعتبرها نصيبه في الحياة .

٥ — ولم يمارس هؤلاء المراهقون — باستثناء حالات قليلة — نشاطا

رياضيا ما . وذلك إما لأن المراهق لم يتجه هذه الوجهة أو لأن ذلك لم يرق لأسرته (ففي إحدى الحالات أدى جزع الوالدين نحو ابنهما إلى منعه - منذ الطفولة - من المشاركة في حصص الألعاب فشب على تهيبه الرياضة بأنواعها . . وفي حالة أخرى كان المراهق يمنع من ممارسة الرياضة لاعتقاد أخيه الأكبر - وهو الذي سيطر على تربيته - بأن الرياضة نوع من العبث مما أدى إلى احتياله للاشتراك في ناد للسياحة » .

٦ — ولقد نشأ أغلب هؤلاء المراهقين تنشئة دينية متزمتة في المنزل

والجمعات الدينية ، كان من شأنها - إلى جانب الحرمان الماطفي وفققر النواحي العملية الاجتماعية في حياتهم - أن استولت النزعة الدينية عليهم بصورة متطرفة ، فشنلوا بالتفكير الديني والمجالات الدينية والتأمل في القيم الروحية ، واتجه بعضهم إلى ما يقارب التصوف والاتجاهات المثالية النظرية . . وقد كان التدين بهذا سندا وجدانيا هاما وعنصرا منظميا لحياة هؤلاء المراهقين لو لا أنه أدى في الوقت نفسه إلى شدة محاسبتهم لأنفسهم وإلى وقوعهم في صراع عنيف بسبب اصطدام مثالياتهم بالواقع الفعلي المحيط بهم ، وبسبب حدة إحساسهم بالآثم نحو الاستمناة خاصة (الذي لم يجدوا سبيلا إلى الخلاص منه) وما اعتقدوا أنه من المخالفات الدينية عموما . وقد انتهى الأمر بكثير من هؤلاء المراهقين - لانعدام التوجيه المناسب - إلى الشك والإلحاد والثورة على ما آمنوا به من قيم وعلى مثالياتهم السابقة وعلى أنفسهم .

وكان بعض هؤلاء المراهقين يواجه صعوبة مضاعفة بسبب مباشرتهم النشاط الوعظ في جمعيات دينية وما استتبع ذلك من تقيدهم بقيود خاصة في سلوكهم ، أو بسبب اتجاههم إلى التعليم الديني مما جعلهم يتصرفون حسبا يتوقمه الناس منهم ، ويضيقون بحرمانهم من الحرية التي يتمتع بها من تعلموا تعليما مدنيا من أقرانهم أو إخوتهم .

٧ — ولم يحقق كثير من هؤلاء المراهقين حتى النجاح الدراسي ؛

وذلك رغم كونه الاهتمام الأول للأسرة التي كانت تدفع المراهق إليه دفعا . وقد يكون ذلك نتيجة للعوامل الأخرى المتسببة في توتر المراهقة ولكنه على أي حال قد أضاف سببا جديدا لهذا التوتر . وقد شعر المراهق في بعض الحالات بتطفله الاقتصادي على الأسرة المترتب على تأخره الدراسي ، فكان يتمهل الوقت الذي يستطيع فيه الكسب ويتمهل النمو ويشعر بالقلق الحاد نتيجة لذلك .

٧ — وكان التخلف في التكوين الجسمي أو الضعف البدني وسوء

الحالة الصحية من العوامل التي تزيد من توتر المراهقة في حالات غير قليلة . ويشتد أثر هذا العامل إذا وجد من إخوة المراهق خاصة من تفوق عليه في البناء الجسمي .

٩ — ولم تجد حاجة هؤلاء المراهقين إلى التقدير مجالا للاشباع في أغلب

الحالات سواء في بيوتهم أو خارجها (وخاصة أن أغلبهم لم يكن له مجتمع خاص) كذلك لم يشبع هؤلاء المراهقون حاجتهم للمسئولية بالقدر الوافي

(باستثناء من ووجهوا بمسئوليات عائلية ثقيلة) وقد حاول بعضهم التعمير
عما افتقدوا من تقدير بطرق شتى كمصاحبة المراهق لمن هم أقل منه تعالما حتى
يشعر بالتفوق عليهم ، وكما حاولاته في الجدل أو الإصلاح الاجتماعي .

١٠ — وقد أحس المراهقون بالجذب العاطفي التام نتيجة الجو المنزلي
وظروفهم الخاصة ، أو بسبب اعتزال الأصدقاء ، وحرمانهم كذلك من
الأجواء المختلطة . وبلغ الحرمان العاطفي بأحدهم الحد الذي عرض فيه
الزواج سرا على خادمته !

١١ — كذلك اندمم تقريبا التوجيه المناسب من أى جانب لهؤلاء
المراهقين ، فلم يصادف معظمهم شخصا أثر عليهم تأثيرا إيجابيا في مواجهة
صعوبات المراهقة .

أصن من الحارات :

١ — هذه حالة مراهق نشأ في أسرة متزمتة شديدة المحافظة ، متمسكة
بحرفية التعاليم الدينية والطقوس الشكلية ، ومن ثم منعت المراهق من
الجلوس مع ضيوف الأسرة من السيدات والآنسات ، ومنعته حتى من
الذهاب للسينما . وهو يقول : « حدث أن ذهبت مرة إلى السينما مع أحد
زملاء الدراسة وإذا بي أسمع بعد رجوعي أن (المعاشرات الرديئة تفسد
الأخلاق الجيدة) ثم أربط إلى عمود السرير لأنال عقابا شديدا نظير التأخر
واللف في الشوارع ، الذي لا يوجد من يأتيه في الأسرة ، بل لا يوجد

من يتأخر خارج البيت إلى ما بعد الغروب ! . . » ويذكر المراهق أنه لم يقصد السيما بعد ذلك إلا في أواخر المرحلة الجامعية . وكان لا يتأخر في العودة المنزل عن موعد الغروب ، وإذا خرج لم يتمدد عن المنزل كثيرا وكان يعرف أهله مقدما بوجهته .

وقد تعود المراهق — منذ صباه — على التردد صباح كل يوم على الكنيسة لأداء فريضة « التناول » . وكان امتناعه عن ذلك يقابل من أسرته بتوقيع العقاب البدني الشديد عليه و « بإقامة الصلوات من أجله » ! وكان يسمع كثيرا من القامئين على تربيته — وهم والدته وإخوته الكبار الذين تمهدوه بعد وفاة والده — ترديدهم للآية التي تقول : « أدب ابنك بقضيب من حديد . . . » وقد انتهى به الأمر إلى تقبله الصامت للمعاملة الصارمة من إخوته (وخاصة أنه الأصغر فيهم) وإلى سلبيته التامة وافتراضه الألم وتوقعه . . ولم يمنعه هذا عن أن يراوده في بعض الأحيان التفكير في الهرب من المنزل ، ولكنه كان يراجع نفسه عندما يذكر أنه لم يحصل إلا على القليل من التعليم بينما يشغل إخوته مراكز اجتماعية مرموقة ، وأنه إذا ما عرّدت فسوف يصبح — على حد قوله — خادما لهم !

ونظرا لافتقاد المراهق التقدير في المنزل ، لجأ إلى بعض الأساليب التمويهية لتوكيد ذاته . ومن ذلك أنه اشترى ساعة ملفتة للنظر وضعها في عروة سترته واشتهر بها بين التلاميذ والمدرسين .

وقد كان الأنيس الوحيد للمراهق هو الكتاب ، فكان يفاق حجرتة

عليه ليستفرق في المطالمة ، وكان أغلب ما يطالعه القمصن الخيالية و « روايات الجيب » . . . وأثرت صورة الانطواء على إغراقه في النشاط الجنسي التالي (الاستمناء) وفي أحلام اليقظة . ثم اتجه المراهق إلى الوعظ في الجمعيات الدينية ، مما زاد الأمر تعقيدا بالنسبة إليه ، فجعله يحاسب نفسه حسابا عسيرا على كل هفوة . وهو يقول في ذلك : « أصبحت أنظر إلى نفسي نظرة صارمة باعتباري مدرسا للدين ، عليه مسؤولية خاصة ويجب أن يكون قدوة حسنة ومثلا أعلى . . . وقد بحثت عن المثالية وفتشت عن جميع جوانبها حتى أرهقتني . وكنت لا أسمح لنفسي حتى بالكذبة العابرة ، وكنت أضيق بنفسي حين تخطئ ، كبقية الناس . . . »

ثم جعل المراهق يحس إحساسا متزايدا بأثار صراع عنيف بين مثاليته النظرية المتطرفة من جانب ونوازعه ومشكلات الواقع من جانب آخر ، فألى على نفسه أن يتخفف تدريجيا من غلواء اتجاهاته المثالية ، ولم يكن هذا بالأمر اليسير عليه فقد أقسم على خدمة الله ومثله العليا ، وخشى أن يتقول الناس بأنه لم يفلح في الدين وأنه تحول كما يتحول الآخرون . . . على أن الأمر قد انتهى به فعلا — وخصوصا مع انعدام التوجيه المناسب — إلى الثورة السكاملة على نفسه وعلى مثاليته السابقة ، وإلى التشكك فيما آمن به من قبل ، والنظرة التي تميل إلى التشاؤم دائما ، وتوقع أسوأ الاحتمالات والظروف .

٢ — وهذه حالة مراهق من أهل الريف كان ضعيف البنية متواضعا

خجولا ، يقول عن نفسه : « إنني أشابه رجال الدين في سماتهم ووداعتهم » — فاختار له أهله التعليم الديني بينما اختاروا التعليم المدني لأخيه الأصغر « لشقاوته وضراوة أخلاقه » ! . . . ويصف المراهق تأثره بفكرة أسرته عنه فيقول : « ومن هنا انكشيت وقنعت بما يشبه الزهادة ، لأحقق أملهم في ولأستحق أوصافى بجدارة . ورحت أبحث عن كل ما يجملى في نظر الأسرة والناس ويجملى أبدا مؤدبا . . . فكنت أمشي على استحياء ، وأجلس منطويا صموتا ، ولا ألب مع الصفوة من الرفاق إلا في الظلام حيث لا يرانا أحد ، حرصا على سمعتنا الدينية ولقب (الشيخ) الذي ننادى به . . . » وكان المراهق يشعر بشيء من الحسد والنقص إزاء أخيه الأصغر ، فقد كان يفوقه في البناء الجسمي ، وكان يلقب (بالأفندي) ويستمتع بحرية واسعة في التصرف والمغامرة ، الأمر الذي لم يكن للمراهق أن يجاريه فيه بحكم نظر الناس إلى أهل التعليم الديني . فلما سكن الإخوان معاً بالمدينة لطلب العلم ، جعل المراهق يتحكم في أخيه الأصغر ويفرض عليه رقابة صارمة عوض بها — على حد قوله — شعوره بالنقص من نحوه . وكان الأخ يفلت من هذه الرقابة إذا عاد للقرية في العطلات المدرسية !

ولما كان المراهق الثامن بين الإخوة ، فقد زاد هذا من افتقاده الاعتبار والسكينة في الأسرة وافتقاده العطف والأمن بالدرجة الكافية . . . وعزز ضعفه البدني وضآلة جسمه شعوره بالنقص الحاد ، فحاول التمويض عنه

بشتى الأساليب — من ذلك أنه عمد إلى مصاحبة المتخلفين عنه في الدراسة حتى يشمر بالزهو والتفوق عليهم . وهو يقول : « كنت أتمجل الرجولة وأتمنى البطولة . . بل بحثت عن تمويض ضمني البدني بالاشتغال بكتيب السحر والشعوذة . . » !

وقد عانى المراهق كثيراً من إسرافه في الاستمراء الذي اعتقد أنه هالك لا محالة بسببه ، فهرع إلى « التدين وإطالة التساييح والمسجود والإكثار من الصدقات والإحسان » بحثاً عن سبيل إلى الخلاص والتكفير عن الأخطاء .

على أن حياة المراهق لم تخل من بهض الاتجاهات التي هيأت شيئاً من الاتزان العاطفي ؛ من بينها أنه وهب له صوت جميل جملة يسمى إلى أما كن الطرب والتغنى بالشعر على الرابطة ، ومن بينها الدراسة والمذاكرة « حيث كان التنافس بين الرفاق يحمي وطيسها » ، ومن بينها كذلك قراءته لكتيب التصوف واشتراكه في عدد من الأعمال الإصلاحية في القرية ؛ فقد تحمس للدعوة الجماعية تماونية ، ولجمع القمامة من المسجد ، وساعد الضمفاء في حاجاتهم ، وأدار المضخة ليملاً الحوض الماشية حتى تشرب في غيبة الناس . وهو يتحدث عن ذلك ثم يقول : « ولكن هذا كله أرهقني ، كما أرهقني التفلسف في أصول الكون وخالقه وعمل الدين واستكناه المجهول . . . » .

٣ — وهذا مراهق ينتمي إلى أسرة في المدينة ، توفي عائلها والمراهق

طاقل في السادسة . وهو الأوسط في ترتيب الإخوة ، حيث تسبقه أختان
تكبرانه كثيراً ويليه أخوان يصغرانه كثيراً . . . ولما كان أكبر الصبية
فقد صار مسئولاً عن الأسرة بمداواة والده ولقد أحس - في المراهقة -
إحساساً متزايداً بثقل المهمة التي على عاتقه وبالاختلاف الكبير بين المستوى
الاقتصادي لأسرته وأسر الزملاء والأقران ، فكان يفكر في ذلك
تفكيراً متصلاً ، وكان إذا اشتد به الكرب يخرج هائماً في الطرقات دون
وجهة معينة . . . تدور برأسه الهواجس والأفكار والخيالات القائمة !

ولما كان فارق السن كبيراً بين المراهق وكل من إخوته وأخواته ،
فقد تمدر عليه أن يصادق أحداً منهم واتجه إلى الوحدة والانزاع في المنزل .
وتأثر سلوكه خارج المنزل أيضاً بهذا الاتجاه ، كما كان إدراكه المتزايد لفقره
وقسوة ظروفه مما دعم اتجاهه الانطوائى - فامتنع عن ثلثة (شلة) الكرة
التي كان أحد أفرادها وهو بعد تلميذ بالمدرسة الابتدائية ، وأحجم في
المدرسة الثانوية عن تكوين علاقات مع زملاء الفصل . . . وحتى (الفسحة)
كان يمتنع عنها لأنه لا يستطيع أن يشتري (البطاطا) أو (الساندوتش)
شأن سائر الزملاء ! !

أثرت هذه الظروف على أخذ المراهق حياته مأخذ الجد وهدى تركيز
اهتمامه على التفوق الدراسي . وقد نجح فعلاً في ذلك رغم ضوء (لمبة الجاز)
وكان من التفوقين في الشهادة التوجيهية فالتحق بالجامعة بالمجان !

وقد وقع هذا المراهق في أسر الاستمناء . . . واستبدت به أيضاً

أحلام اليقظة التي تأثر فيها بأبطال القصص التي قرأها ؛ فكان يتصور نفسه وقد أصبح من كبار الشخصيات ، وكان يطابق بين نفسه من ناحية والشهداء والضحايا من عطاء التاريخ من ناحية أخرى ؛ فيرى أنه أحد الذين وصفهم شكسبير بقوله : « إن الأخطاء التي ارتكبت في حقهم أعظم من الأخطاء التي ارتكبوها » ! واستولى عليه إحساسه بأنه « كبش الفداء » لبناء أسرته ، فجعل همه أن يسهل إخوته وأن يجنبهم مثل مصيره وآلامه ! . . . وقد وجد في هذه الخواطر الحزينة المتشائمة نوعاً من الراحة ، فاستمدت الألم والتضحية . . . وباشتداد آلامه وقراءته لكتب الفلسفة والأدب في دراسته بالجامعة ، أكثر من التشكك في حكمة الحياة والغرض منها ، وأطال التأمل والتساؤل في المسائل الدينية واللاهوتية .